دير قزمان

في شمالي حلب بالقرب من عزاز

اغفل ذكرَه كلٌّ من ياقوت ، والبكري ، وشهاب الدين العمري. وهو ما يبعث على الظنّ ان كتب الديارات التي نقلوا عنها كانت خالية من كل اشارة اليه. ولا يُدرى من اين جاء هذا الاسم. ولِمَ نُسب الدير اليه. وقد حاول ياقوت ان يردّه الى اصل عربي كدعواه في كثير من الالفاظ الاعجمية. وعنده ان قُزمان بالضم جمع قَزَم، اي الدني. الصغير الجثة من كل شيء. قال: وهو اسم موضع. كذا دون تعيين. ومثل هذا الابهام في تعريف الاعلام كثير في كتب البلدانيين. بل لا تخلو منه معاجم اللغة في تفسير اسماء الاعيان. وهو آفة من آفات العلم الشرقي، وعقبة من اشد العقبات التي تعترض الباحث المنقّب في آثار الازمان الغابرة. وزاد ياقوت في التردّد فنقل عن العمراني انه بفتح القاف اسم موضع آخر[1]. فلا ندري اي الضبطين اصحّ ، ولا اين موقع الموضعين ؟ ويشبه ان يكون الدير كان منسوباً الى مار قُزما (بالضم) فجعلوه قزمان. كما بدّلو مار سرجس بأسرجان. قال ابو نواس:

بعجّك قاصدًا بأسرجانِ ، فدير النوبهار ، فدير قيق (٢

واوحد من نبّه على هذا الدير ودلّ على مكانه الصاحب كمال الدين بن العديم، نقلًا عن ابي الحسن السياطي في كتاب الأديرة. وقد انفرد هذا الكتاب، فيما يظهر ، باشياء لم ترد في بقية كتب الديارات ، وهو ما يزيد في التحسّر على فقده. ومنه عرفنا ان دير قزمان كان واقعاً شمالي حلب، ما بين جبرين وتلّ خالد، بالقرب من عزاز[2]. وجبرين هذه لا شكّ جبرين قُورَسطايا البائدة ، من قرى

---

١) معجم البلدان (طبعة اوربة) ٤ : ٨٧ .

٢) معجم البلدان (طبعة اوربة) ٢ : ٦٨٤

٣) جزء من بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ، خزانة بريتش موزيوم Add. 23354, f° 103b

حلب ، من ناحية عزاز[1] . وتل خالد قلعة كانت من نواحي حلب[2] .

وروى السياطي عن ابن جناح، من صحابة عبدالله بن محمد الامين، ابياتاً قالها في دير قزمان قال: حدثني ابن جناح قال: مضيت الى دير قزمان ومعي من آنس به من اخواني. فرأيته ديراً حسناً طيباً نزهاً. فاقمت فيه اياماً ورأيت فيه شماساً امرد كالبدر. يقد يقدّ القلوب. فانفذت اليه ليحضر عندنا فامتنع. فآنسته وجعلت لا أفارقه. وتناولت معه القربان. ودخلت معه كل مدخل الى ان أنس بي وعاشرني وقلبي معه. وقلت:

يا دير قزمان ، كم لي فيك من وطر	قضيته فسقاك الله غيثانا !
اقمت فيه أسقّى من مشمشة	تنفي بسورتها همّاً واحزانا
تجلو الدجى بسناها ، وهي نيّرة ،	تخالها في كؤوس الشرب نيرانا
حيّاك روض اريضٌ زهرهُ عَطِرٌ ،	بديع نور ، يؤدّي الحسن الوانا
له روائع اشجار تجاوب في	افنانها الطير مثنى ثم وحدانا
مناديماً قسّ دهراً ، وربّنا	نادمت قسّاً وشماساً ورهبانا
وفيهم قمر في ليل مُدرّعة	على قضيب حوى حسناً واحسانا
فلم ازل انا (انس) في تسلطه	وقد احذت ، نعرفي ته ، قربانا
حتى استكان الى وصلي ، ونادمني ،	وكان من سكره ، ... كه
يا دير قزمان، لا عُرّيتَ من سكن	ومن سكون حبّ ، يا دير قزمانا ! (٣

١) معجم البلدان ٢ : ١٩٠ — ٢٠

٢) معجم البلدان ١ : ٨٦٧

٣) بغية الطلب في تاريخ حلب [illegible]